



خطبة صلاة الجمعة 16 / 10 / 2020 للشيخ الطيب محمد خير الشَّعَال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال، ومعناه: الطريقة أي أحسن الطرق طريق محمد، يقال فلان حسن الهدي أي الطريقة والمذهب، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما ومعناه الدلالة والإرشاد).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وإن ما تُوعدون لآت، وما أنتم بمعجزين».

قال ابن منظور: فَلَانْ حَسَنُ الْهَدْيِ هُوَ حُسْنُ الْمَذْهَبِ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ أَيْ أَحْسَنُ الطَّرِيقِ وَالْهَدَايَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَالنَّحْوِ وَالْهَيْئَةِ، هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سأجعل سلسلة الخطب عنوائها: (هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) لنكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننال الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه. واعلموا أن الكمال البشري معقود في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه صلى الله عليه وسلم سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه. تتناول السلسلة حديثاً عن هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية، وعن هديه في المعاملات المالية، وعن هديه صلى الله عليه وسلم في بيته وأسرته، وعن هديه في عسره وشدائده، وعن هديه في تعليمه ودعوته، وغيرها.

عنوان خطبة اليوم: هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية.

العبادات الشعائرية من صلاة وصيام وصدقات وأذكار ونحوها باب عريض من أبواب التقرب إلى الله تعالى ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19] وسبب أكيد في تركية النفس وتطهيرها من أدرانها ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103] ووسيلة ناجعة لطمأنينة القلب وراحته ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

وإن خير من عبد الله تعالى وخشيته واتباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهديه صلى الله عليه وسلم في العبادة الشعائرية خير الهدي ومنهاجه فيها هو أقوم المناهج وطريقه أحسن الطرق. وإليكم بعض المعالم في هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية لنستن بسنته ونتأسى بهديه صلى الله عليه وسلم:

أولاً: اتخذ صلى الله عليه وسلم لنفسه نصيباً وافراً من العبادات الشعائرية:

أما الفرائض فمفروغٌ منها، وأما النوافل فله صلى الله عليه وسلم من صلاة النافلة في الليل والنهار قسط، ومن تلاوة القرآن حزب، ومن الذكر ورد ومن الصدقات جزء ومن صوم النافلة نصيب.

أخرج الترمذي وأحمد عن عائشة رضي الله عنها (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل - أي سورة الإسراء - والزمزم) والسورتان قريب من الجزء.

وأخرج البخاري عنها رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي من الليل إحدى عشرة ركعة» وفي رواية «فلا تسأل عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ».

وأخرج مسلم عنها رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله - عزَّ وجلَّ - على كلِّ أحيانه» وأخرج الترمذي عنها «أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرَّى صيام يوم الاثنين والخميس».

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَّ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل،... فكَرَّسَ رسولُ الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

وهكذا - أيها الإخوة - تجدون رسول الله صلى الله عليه وسلم متخذاً لنفسه نصيباً وافراً من العبادات الشعائرية وهذا هديه الشريف وطريقه المنيّف.

ثانياً: لم تشغله صلى الله عليه وسلم عباداته الشعائرية عن واجباته الحياتية:

أخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: بَعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ: «أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي؟» فقال: لا، والله يا رسول الله ولكن سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قال: «فَإِنِّي أَنَا، وَأَصْلِي، وَأَصُومُ، وَأُفْطِرُ، وَأُنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ الله يا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأُفْطِرْ، وَصَلِّ وَتَمَّ» وفي رواية: قالت عائشة: وكان حَلَفَ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَيَصُومَ النَّهَارَ، وَلَا يَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَسَأَلَ عَنْ يَمِينِهِ، فَتَرَلَّ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225].

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله: «أَمُّ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأُفْطِرْ، وَتَمَّ وَفَمَّ، فَإِنَّ لَجِسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِذَا ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ» فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ، قلتُ: يا رسول الله: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: «صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ الله داود عليه السلام، لَا تَزِدْ عَلَيْهِ» قلت: وما كان صيام داود؟ قال: «نصف الدهر». فكان عبدُ الله يقول بعد ما كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

فلا رهبانية في الإسلام ولا تشدد ولا تنطع. بل توسط واعتدال وهذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عباداته الشعائرية إذ لم تشغله عن واجباته الحياتية.

ثالثاً: كان صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثبته وكان يحب العمل الدائم وإن قل:

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تَطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ».

ومعنى "لا يمل حتى تملوا" أي لا يقطع الله تعالى عنكم فضله حتى تتركوا ما كنتم عليه من العمل الصالح.

وفي رواية: «وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه».

وفي رواية قال: إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سئل، أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».

فالقليل الدائم من العبادات الشعائرية أقوى أثراً وأفضل منزلة من الكثير المنقطع، وهذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية فقد كان عمله صلى الله عليه وسلم فيها ديمة.

رابعاً: كان صلى الله عليه وسلم يحذر من الدخول في العبادة على كراهية وكسل وانصراف عنها بل يدخلها بجد ونشاط وانصراف إليها:

أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، فإذا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: حَبْلٌ لَزِينَبَ، فإذا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا، حُلُوَّةٌ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَةً، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ».

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسَ لَا يَدْرِي: لَعَلَّه يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسْبُ نَفْسَهُ».

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قُدِّمَ الْعِشَاءُ فَاذْبُذُّوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تَصَلُّوا صَلَاةَ الْمَغْرَبِ، وَلَا تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ».

فهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية أنه يدخل فيها بجد ونشاط ومحبة.

خامساً: ربط صلى الله عليه وسلم بين الشعائر والمقاصد:

فقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾
[العنكبوت: 45].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ
وَشَرَابَهُ» [البخاري].

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ
- وَإِنْ صَامَ، وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ -: إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ».
وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً:
«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: إِنْ الْمُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا،
فِيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايِهِمْ
فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِي النَّارِ».

فهذه الشواهد كلها وغيرها كثير بما يربط رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الشعائر والمقاصد.

وبعد أيها الإخوة:

- هذه خمسة في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية:
- 1- اتخذ صلى الله عليه وسلم لنفسه نصيباً وافراً من العبادات الشعائرية.
 - 2- لم تشغله صلى الله عليه وسلم عباداته الشعائرية عن واجباته الحياتية.
 - 3- كان صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثبته وكان يحب العمل الدائم وإن قل.
 - 4- كان صلى الله عليه وسلم يحذر من الدخول في العبادة على كراهية وكسل وانصراف عنها بل يدخلها بجد ونشاط وانصراف إليها.
 - 5- ربط صلى الله عليه وسلم بين الشعائر والمقاصد.

فليتخذ كل منا لنفسه نصيباً وافراً من هذه العبادات ولا تشغله عن واجباته الحياتية، وليكن عملنا فيها دائماً وإن قل، وندخلها بنشاط ومحبة، وتذكروا أن عبادتنا الشعائرية لا بد أن تنعكس إيجاباً على معاملتنا الحياتية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين